تفسير سورة الزخرف

هى تسع وثمانون آية قال القرطبى: هى مكية بالإجماع . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة ﴿ حم ﴾ الزخرف بمكة : قال مقاتل : إلا قوله : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا** ﴾ يعنى : فإنها نزلت بالمدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **حمٓ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠) ﴾ .**

قوله : ﴿ **حم . والكتاب المبين** ﴾ الكلام ها هنا فى الإعراب كالكلام الذى قدمناه فى : ﴿يس . والقرآن الحكيم ﴾ [يس : ١ ، ٢] فإن جعلت ﴿ حم ﴾ قسما كانت الواو عاطفة ، وإن لم تجعل قسما فالواو للقسم ، وجواب القسم ﴿ **إنا جعلناه** ﴾ وقال ابن الأنبارى : من جعل جواب ﴿ **والكتاب** ﴾ : ﴿ حم ﴾ كما تقول : نزل والله ، وقف على ﴿ **الكتاب المبين** ﴾ ، ومعنى ﴿ **جعلناه** ﴾ أى سميناه ووصفناه ، ولذلك تعدى إلى مفعولين . وقال السدى : المعنى : أنزلناه ﴿ **قرآنا** ﴾ وقال مجاهد : قلناه. وقال سفيان الثورى: بيناه ﴿ **عربيا** ﴾ وكذا قال الزجاج، أى أنزل بلسان العرب ، لأن كل نبى أنزل كتابه بلسان قومه . وقال مقاتل : لأن لسان أهل الجنة

عربى ﴿ **لعلكم تعقلون** ﴾ أى جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكى تفهموه وتتعقلوا معانيه وتحيطوا بما فيه . قال ابن زيد : لعلكم تتفكرون . ﴿ **وإنه فى أم الكتاب** ﴾ أى وإن القرآن فى اللوح المحفوظ ﴿ **لدينا** ﴾ أى عندنا ﴿ **لعلى حكيم** ﴾ رفيع القدر محكم النظم لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض ، والجملة عطف على الجملة المقسم بها داخلة تحت معنى القسم ، أو مستأنفة مقررة لما قبلها . قال الزجاج : ﴿ **أم الكتاب** ﴾ أصل الكتاب ، وأصل كل شىء أمه ، والقرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال: ﴿بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ﴾ [البروج:٢١، ٢٢] وقال ابن جريج : المراد بقوله : ﴿ **وإنه** ﴾ أعمال الخلق من إيمان وكفر وطاعة ومعصية . قال قتادة : أخبر عن منزلته وشرفه وفضله ، أى إن كذبتم به يا أهل مكة فإنه عندنا شريف رفيع محكم من الباطل .

﴿ **أفنضرب عنكم الذكر صفحا** ﴾ يقال : ضربت عنه وأضربت عنه: إذا تركته وأمسكت عنه ، كذا قال الفراء والزجاج وغيرهما ، وانتصاب ﴿ **صفحا** ﴾ على المصدرية ، وقيل : على الحال ، على معنى : أفنضرب عنكم الذكر صافحين ، والصفح مصدر قولهم : صفحت عنه : إذا أعرضت عنه ، وذلك أنك توليه صفحة وجهك وعنقك ، والمراد بالذكر هنا : القرآن ، والاستفهام للإنكار والتوبيخ . قال الكسائى : المعنى : أفنضرب عنكم الذكر طيا فلا توعظون ولا تؤمرون ؟ وقال مجاهد وأبو صالح والسدى : أفنضرب عنكم العذاب ولانعاقبكم على إسرافكم وكفركم ؟. وقال قتادة : المعنى : أفنهلككم ولا نأمركم ولا ننهاكم ؟ وروى عنه أنه قال: المعنى : أفنمسك عن إنزال القرآن من قبل أنكم لاتؤمنون به ؟ وقيل : الذكر : التذكير ، كأنه قال : أنترك تذكيركم ﴿ **أن كنتم قوما مسرفين** ﴾ قرأ نافع وحمزة والكسائى :« إن كنتم » بكسر « إن » على أنها الشرطية ، والجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه . وقرأ الباقون بفتحها على التعليل ، أى لأن كنتم قومًا منهمكين فى الإسراف مصرين عليه، واختار أبو عبيد قراءة الفتح . ثم سلى سبحانه رسوله ﷺ فقال : ﴿ **وكم أرسلنا من نبى فى الأولين** ﴾ كم هى الخبرية التى معناها : التكثير ، والمعنى : ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء فى الأمم السابقة ﴿ **وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزئون** ﴾ كاستهزاء قومك بك ﴿ **فأهلكنا أشد منهم بطشا** ﴾ أى أهلكنا قوما أشد قوة من هؤلاء القوم ، وانتصاب ﴿ **بطشا** ﴾ على التمييز أو الحال ، أى باطشين ﴿ **ومضى مثل الأولين** ﴾ أى سلف فى القرآن ذكرهم غير مرة . وقال قتادة : عقوبتهم ، وقيل: صفتهم ، والمثل : الوصف والخبر . وفى هذا تهديد شديد ؛ لأنه يتضمن أن الأولين أهلكوا بتكذيب الرسل ، وهؤلاء إن استمروا على تكذيبك والكفر بما جئت به هلكوا مثلهم .

﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم** ﴾ أى لئن سألت هؤلاء الكفار من قومك من خلق هذه الأجرام العلوية والسفلية أقروا بأن الله خالقهن ولم ينكروا، وذلك أسوأ لحالهم وأشد لعقوبتهم ؛ لأنهم عبدوا بعض مخلوقات الله وجعلوه شريكا له، بل عمدوا إلى ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر من المخلوقات وهى الأصنام فجعلوها

شركاء لله . ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم نعمته على عباده وكمال قدرته فى مخلوقاته فقال : ﴿**الذى جعل لكم الأرض مهادا** ﴾ وهذا كلام مبتدأ غير متصل بما قبله: ولو كان متصلا بما قبله من جملة مقول الكفار لقالوا: الذى جعل لنا الأرض مهادا ، والمهاد : الفراش والبساط ، وقد تقدم بيانه ، قرأ الجمهور : ﴿ **مهادا** ﴾ وقرأ الكوفيون « مهدا » ﴿**وجعل لكم فيها سبلا** ﴾ أى طرقا تسلكونها إلى حيث تريدون . وقيل : معايش تعيشون بها ﴿ **لعلكم تهتدون**﴾ بسلوكها إلى مقاصدكم ومنافعكم .

﴿ **والذى نزل من السماء ماء بقدر** ﴾ أى بقدر الحاجة وحسبما تقتضيه المصلحة، ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى يهلك زرائعكم ويهدم منازلكم ويهلككم بالغرق ، ولا دونها حتى تحتاجوا إلى الزيادة ، وعلى حسب ما تقتضيه مشيئته فى أرزاق عباده بالتوسيع تارة والتقتير أخرى ﴿ **فأنشرنا به بلدة ميتا** ﴾ أى أحيينا بذلك الماء بلدة مقفرة من النبات . قرأ الجمهور : ﴿ **ميتا** ﴾ بالتخفيف . وقرأ عيسى وأبو جعفر بالتشديد ﴿**كذلك تخرجون** ﴾ من قبوركم ، أى مثل ذلك الإحياء للأرض بإخراج نباتها بعد أن كانت لا نبات بها تبعثون من قبوركم أحياء ، فإن من قدر على هذا قدر على ذلك ، وقد مضى بيان هذا فى آل عمران والأعراف . قرأ الجمهور : ﴿**تخرجون** ﴾ مبنيا للمفعول ، وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائى وابن ذكوان عن ابن عامر مبنيا للفاعل .

﴿ **والذى خلق الأزواج كلها** ﴾ المراد بالأزواج هنا : الأصناف ، قال سعيد بن جبير : الأصناف كلها ، وقال الحسن: الشتاء والصيف والليل والنهار والسموات والأرض والجنة والنار . وقيل : أزواج الحيوان من ذكر وأنثى . وقيل : أزواج النبات ، كقوله : ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ [ق : ٧] و ﴿ من كل زوج كريم﴾ [الشعراء : ٧] . وقيل: ما يتقلب فيه الإنسان من خير وشر وإيمان وكفر ، والأول أولى ﴿ **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون** ﴾ فى البحر والبر ، أى ما تركبونه ﴿ **لتستووا على ظهوره** ﴾ الضمير راجع إلى ما قاله أبو عبيد . وقال الفراء : أضاف الظهور إلى واحد، لأن المراد به الجنس ، فصار الواحد فى معنى الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذكر ، وجمع الظهر لأن المراد ظهور هذا الجنس ، والاستواء : الاستعلاء ، أى لتستعلوا على ظهور ما تركبون من الفلك والأنعام ﴿ **ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه**﴾ أى هذه النعمة التى أنعم بها عليكم من تسخير ذلك المركب فى البحر والبر . وقال مقاتل والكلبى : هو أن يقول الحمد لله الذى رزقنى هذا وحملنى عليه ﴿**وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا** ﴾ أى ذلل لنا هذا المركب ، وقرأ على ابن أبى طالب : « سبحان من سخر لنا هذا » قال قتادة : قد علمكم كيف تقولون إذا ركبتم ، ومعنى ﴿ **وما كنا له مقرنين**﴾ : ما كنا له مطيقين ، يقال : أقرن هذا البعير : إذا أطاقه . وقال الأخفش وأبو عبيدة : ﴿ **مقرنين** ﴾ : ضابطين ، وقيل : مماثلين له فى القوة ، من قولهم : هو قرن فلان إذا كان مثله فى القوة ، وأنشد قطرب قول عمرو بن معدى كرب :

لقد علم القبـائل ما عقيل   لنا فى النائبـات بمقرنينا

وقال آخر :

ركبتم صعبتىْ أشر وجبن   ولستم للصعاب بمقرنينا

والمراد بالأنعام هنا : الإبل خاصة . وقيل : الإبل والبقر ، والأول أولى ﴿ **وإنا إلى ربنا لمنقلبون** ﴾ أى راجعون إليه ، وهذا تمام ما يقال عند ركوب الدابة أو السفينة ، ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم ، فقال : ﴿ **وجعلوا له من عباده جزءا** ﴾ قال قتادة : أى عدلا ، يعنى : ما عبد من دون الله . وقال الزجاج والمبرد : الجزء هنا : البنات ، والجزء عند أهل العربية : البنات ، يقال : قد أجزأت المرأة : إذا ولدت البنات، ومنه قول الشاعر :

إن أجزأت حرة يوما فلا عجب   قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا

وقد جعل صاحب الكشاف تفسير الجزء بالبنات من بدع التفسير ، وصرح بأنه مكذوب على العرب . ويجاب عنه بأنه قد رواه الزجاج والمبرد ، وهما إماما اللغة العربية وحافظاها ومن إليهما المنتهى فى معرفتها ، ويؤيد تفسير الجزء بالبنات ما سيأتى من قوله : ﴿ **أم اتخذ مما يخلق بنات**﴾ وقوله :﴿ **وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن** ﴾ وقوله : ﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا** ﴾ وقيل :المراد بالجزء هنا : الملائكة ؛ فإنهم جعلوهم أولادا لله سبحانه قاله مجاهد والحسن . قال الأزهرى : ومعنى الآية : أنهم جعلوا لله من عباده نصيبا على معنى أنهم جعلوا نصيب الله من الولدان ﴿ **إن الإنسان لكفور مبين** ﴾ أى ظاهر الكفران مبالغ فيه . قيل : المراد بالإنسان هنا : الكافر ، فإنه الذى يجحد نعم الله عليه جحودا بينًا . ثم أنكر عليهم هذا فقال: ﴿ **أم اتخذ مما يخلق بنات** ﴾ وهذا استفهام تقريع وتوبيخ . وأم هى المنقطعة ، والمعنى : أتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿**وأصفاكم بالبنين**﴾ فجعل لنفسه المفضول من الصنفين ولكم الفاضل منهما، يقال : أصفيته بكذا ، أى آثرته به، وأصفيته الود : أخلصته له ، ومثل هذه الآية قوله :﴿ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى﴾ [النجم: ٢١ ، ٢٢] وقوله : ﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين ﴾ [الإسراء : ٤٠] وجملة : ﴿**وأصفاكم** ﴾ معطوفة على ﴿ **اتخذ** ﴾ داخلة معها تحت الإنكار .

ثم زاد فى تقريعهم وتوبيخهم فقال : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا** ﴾ أى بما جعله للرحمن سبحانه من كونه جعل لنفسه البنات ، والمعنى : أنه إذا بشر أحدهم بأنها ولدت له بنت اغتم لذلك وظهر عليه أثره ، وهو معنى قوله: ﴿ **ظل وجهه مسودًا** ﴾ أى صار وجهه مسودًا بسبب حدوث الأنثى له حيث لم يكن الحادث له ذكرا مكانها ﴿ **وهو كظيم** ﴾ أى شديد الحزن كثير الكرب مملوء منه . قال قتادة : حزين . وقال عكرمة : مكروب . وقيل : ساكت ، وجملة : ﴿ **وهو كظيم** ﴾ فى محل نصب على الحال . ثم زاد فى توبيخهم وتقريعهم فقال : ﴿**أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين** ﴾ معنى ﴿ **ينشأ** ﴾ : يربى ، والنشوء :

التربية، والحلية : الزينة ، و « من » فى محل نصب بتقدير مقدر معطوف على ﴿ **جعلوا** ﴾ ، والمعنى : أو جعلوا له سبحانه من شأنه أن يربى فى الزينة وهو عاجز عن أن يقوم بأمور نفسه ، وإذا خوصم لا يقدر على إقامة حجته ودفع ما يجادله به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه ؟ قال المبرد: تقدير الآية : أو يجعلون له من ينشأ فى الحلية ، أى ينبت فى الزينة ؟ قرأ الجمهور: « ينشأ » بفتح الياء وإسكان النون ، وقرأ ابن عباس والضحاك وابن وثاب وحفص وحمزة والكسائى وخلف بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين . واختار القراءة الأولى أبو حاتم، واختار الثانية أبو عبيد . قال الهروى : الفعل على القراءة الأولى لازم ، وعلى الثانية متعد . والمعنى : يربى ويكبر فى الحلية . قال قتادة : قلما تتكلم امرأة بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها . وقال ابن زيد والضحاك : الذى ينشأ فى الحلية أصنامهم التى صاغوها من ذهب وفضة .

﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثا** ﴾ الجعل هنا بمعنى القول والحكم على الشيء كما تقول : جعلت زيدا أفضل الناس ، أى قلت بذلك وحكمت له به . قرأ الكوفيون : ﴿ **عباد** ﴾ بالجمع ، وبها قرأ ابن عباس. وقرأ الباقون : ﴿ **عند الرحمن** ﴾ بنون ساكنة ، واختار القراءة الأولى أبو عبيد ، لأن الإسناد فيها أعلى ، ولأن الله إنما كذبهم فى قولهم : إنهم بنات الله فأخبرهم أنهم عباده ، ويؤيد هذه القراءة قوله : ﴿ بل عباد مكرمون﴾ [الأنبياء : ٢٦] واختار أبو حاتم القراءة الثانية ، قال : وتصديق هذه القراءة قوله : ﴿ إن الذين عند ربك ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] . ثم وبخهم وقرعهم فقال : ﴿ **أشهدوا خلقهم** ﴾ أى أحضروا خلق الله إياهم فهو من الشهادة التى هى الحضور ، وفى هذا تهكم بهم وتجهيل لهم . قرأ الجمهور : ﴿**أشهدوا** ﴾ على الاستفهام بدون واو . وقرأ نافع : « أوشْهدوا ». وقرأ الجمهور: ﴿ **ستكتب شهادتهم** ﴾ بضم التاء الفوقية وبناء الفعل للمفعول ورفع شهادتهم ، وقرأ السلمى وابن السميقع وهبيرة عن حفص بالنون وبناء الفعل للفاعل ونصب شهادتهم ، وقرأ أبو رجاء : « شهاداتهم » بالجمع ، والمعنى : سنكتب هذه الشهادة التى شهدوا بها فى ديوان أعمالهم لنجازيهم على ذلك ﴿ **ويسألون** ﴾ عنها يوم القيامة . ﴿ **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم** ﴾ هذا فن آخر من فنون كفرهم بالله جاؤوا به للاستهزاء والسخرية ، ومعناه : لو شاء الرحمن فى زعمكم ما عبدنا هذه الملائكة، وهذا كلام حق يراد به باطل ، وقد مضى بيانه فى الأنعام ، فبين سبحانه جهلهم بقوله: ﴿ **ما لهم بذلك من علم** ﴾ أى ما لهم بما قالوه من أن الله لو شاء عدم عبادتهم للملائكة ما عبدوهم من علم ، بل تكلموا بذلك جهلا ، وأرادوا بما صورته صورة الحق باطلا ، وزعموا أنه إذا شاء فقد رضى . ثم بين انتفاء علمهم بقوله : ﴿ **إن هم إلا يخرصون** ﴾ أى ما هم إلا يكذبون فيما قالوا ويتمحلون تمحلا باطلا . وقيل : الإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى قوله : ﴿**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا** ﴾ قاله قتادة ومقاتل والكلبى ، وقال مجاهد وابن جريج . أى ما لهم بعبادة الأوثان من علم .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : إن أول ما خلق الله من شىء القلم ، وأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة والكتاب عنده ، ثم قرأ : ﴿ **وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم** ﴾ (١) . وأخرج ابن مردويه نحوه عن أنس مرفوعا . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أفنضرب عنكم الذكر صفحا** ﴾ قال : أحببتم أن يصفح عنكم ولم تفعلوا ما أمرتم به . وأخرج مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر ؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر ركب راحلته ثم كبر ثلاثا ثم قال : ﴿ **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون** ﴾ (٢) . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وما كنا له مقرنين** ﴾ قال : مطيقين . وأخرج عبد بن حميد عنه : ﴿ **أو من ينشأ فى الحلية** ﴾ قال : هو النساء فرق بين زيهن وزى الرجال ونقصهن من الميراث وبالشهادة وأمرهن بالقعدة وسماهن الخوالف . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه عن سعيد بن جبير قال : كنت أقرأ هذا الحرف ﴿**الذين هم عند الرحمن إناثا** ﴾ فسألت ابن عباس فقال : عباد الرحمن؟ قلت : فإنها فى مصحفى ﴿ عند الرحمن ﴾ قال : فامحها واكتبها ﴿ عباد الرحمن ﴾ .

﴿ **أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن**

---

(١) ابن جرير ٢٥/ ٣٠.

(٢) مسلم فى الحج (١٣٤٢/ ٤٢٥) وأبو داود فى الجهاد (٢٥٩٩) والترمذى فى الدعوات (٣٤٤٧) وقال : « حديث حسن غريب » والنسائى فى عمل اليوم والليلة (١٠٣٨٢) وصححه الحاكم ٢/ ٢٥٤ ووافقه الذهبى .

يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ(٣٥) ﴾ .

قوله: ﴿**أم آتيناهم كتابا من قبله**﴾ أم هى المنقطعة، أى بل أأعطيناهم كتابا من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ؟ ﴿ **فهم به مستمسكون** ﴾ يأخذون بما فيه ويحتجون به ويجعلونه لهم دليلا، ويحتمل أن تكون أم معادلة لقوله: ﴿**أشهدوا** ﴾، فتكون متصلة ، والمعنى: أحضروا خلقهم أم آتيناهم كتابا إلخ. وقيل: إن الضمير فى: ﴿**من قبله**﴾ يعود إلى ادعائهم ، أى أم آتيناهم كتابا من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه، والأول أولى. ثم بين سبحانه أنه لا حجة بأيديهم ولا شبهة، ولكنهم اتبعوا آباءهم فى الضلالة فقال: ﴿**بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون**﴾ فاعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم، ومعنى ﴿**على أمة**﴾: على طريقة ومذهب . قال أبو عبيد : هى الطريقة والدين ، وبه قال قتادة وغيره . قال الجوهرى : والأمة : الطريقة والدين، يقال: فلان لا أمة له، أى لا دين له ولا نحلة، ومنه قول قيس بن الخطيم:

كـنا على أمة آبـائـنا ونقتدى بالأوّل الأوّل

وقول الآخر :

وهل يستوى ذو أمة وكفور

وقال الفراء وقطرب : على قبلة . وقال الأخفش : على استقامة ، وأنشد قول النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

قرأ الجمهور : ﴿ **أمة** ﴾ بضم الهمزة ، وقرأ مجاهد وقتادة وعمر بن عبد العزيز بكسرها . قال الجوهرى : والإمة بالكسر : النعمة ، والإمة : أيضا لغة فى الأمة، ومنه قول عدى بن زيد:

ثم بعد الفلاح والملك والإمـ ـة وارتـهم هنـاك قبـــور

ثم أخبر سبحانه أن غير هؤلاء من الكفار قد سبقهم إلى هذه المقالة وقال بها فقال : ﴿**وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾ . ﴿ **مترفوها**﴾ : أغنياؤها ورؤساؤها. قال قتادة : ﴿ **مقتدون** ﴾ : متبعون ، ومعنى الاهتداء والاقتداء متقارب، وخصص المترفين تنبيها على أن التنعم هو سبب إهمال النظر. ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يرد عليهم ، فقال : ﴿ **قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم** ﴾ أى أتتبعون آباءكم ؟ ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم ، قال الزجاج : المعنى: قل لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه ؟ قرأ الجمهور: ﴿**قل أو لو**

جئتكم﴾ وقرأ ابن عامر وحفص: «قال أو لو جئتكم» وهو حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم، أى قال كل منذر من أولئك المنذرين لأمته . وقيل : إن كلا القراءتين حكاية لما جرى بين الأنبياء وقومهم، كأنه قال لكل نبى : قل، بدليل قوله: ﴿ **قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾.

وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه ، فإن هؤلاء المقلدة فى الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم . فإذا رام الداعى إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة، بل بمجرد قال . وقيل: لشبهة داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة ، قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، أو بما يلاقى معناه معنى ذلك، فإن قال لهم الداعى إلى الحق : قد جمعتنا الملة الإسلامية وشملنا هذا الدين المحمدى ، ولم يتعبدنا الله ولا تعبدكم وتعبد آباءكم من قبلكم إلا بكتابه الذى أنزله على رسوله وبما صح عن رسوله ، فإنه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه ، الفارق بين محكمه ومتشابهه . فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله كما أمرنا الله بذلك فى كتابه بقوله : ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ [النساء : ٥٩] فإن الرد إليهما أهدى لنا ولكم من الرد إلى ما قاله أسلافكم ودرج عليه آباؤكم ، نفروا نفور الوحوش ، ورموا الداعى لهم إلى ذلك بكل حجر ومدر ، كأنهم لم يسمعوا قول الله سبحانه : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ [النور : ٥١] ولا قوله : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء : ٦٥] فإن قال لهم القائل : هذا العالم الذى تقتدون به وتتبعون أقواله هو مثلكم فى كونه متعبدا بكتاب الله وسنة رسوله ، مطلوبا منه ما هو مطلوب منكم ، وإذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل ، فذلك رخصة له لا يحل أن يتبعه غيره عليها ، ولا يجوز له العمل بها ، وقد وجدوا الدليل الذى لم يجده ، وها أنا أوجدكموه فى كتاب الله ، أو فيما صح من سنة رسوله ، وذلك أهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا : لا نعمل بهذا ولا سمع لك ولا طاعة، ووجدوا فى صدورهم أعظم الحرج من حكم الكتاب والسنة ، ولم يسلموا ذلك ولا أذعنوا له ، وقد وهب لهم الشيطان عصى يتوكؤون عليها عند أن يسمعوا من يدعوهم إلى الكتاب والسنة ، وهى أنهم يقولون : إن إمامنا الذى قلدناه واقتدينا به أعلم منك بكتاب الله وسنة رسوله ، وذلك لأن أذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصورا عظيما بسبب تقدم العصر وكثرة الأتباع ، وما علموا أن هذا منقوض عليهم مدفوع به فى وجوههم ، فإنه لو قيل لهم : إن فى التابعين من هو أعظم قدرا ، وأقدم عصرا من صاحبكم ، فإن كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية حتى توجب الاقتداء ، فتعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصرا وأجل قدرا ، فإن أبيتم ذلك ، ففى الصحابة ﷺ من هو أعظم قدرا من صاحبكم علما وفضلا وجلالة قدر ، فإن أبيتم ذلك ، فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدرا وأجل خطرا وأكثر أتباعا وأقدم عصرا ،

وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبيكم ورسول الله إلينا وإليكم فتعالوا فهذه سنته موجودة فى دفاتر الإسلام ودواوينه التى تلقتها جميع هذه الأمة قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر ، وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل وموجد الكل ، بين أظهرنا موجود فى كل بيت ، وبيد كل مسلم لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تصحيف ، ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقل معانيه، فتعالوا لنأخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه، فهو أهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا : لا سمع ولا طاعة ، إما بلسان المقال أوبلسان الحال . فتدبر هذا وتأمله إن بقى فيك بقية من إنصاف ، وشعبة من خير ومزعة من حياء وحصة من دين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وقد أوضحت هذا غاية الإيضاح فى كتابى الذى سميته « أدب الطلب ومنتهى الأرب » فارجع إليه إن رمت أن تنجلى عنك ظلمات التعصب وتنقشع لك سحائب التقليد .

﴿ **فانتقمنا منهم** ﴾ وذلك الانتقام ما أوقعه الله بقوم نوح وعاد وثمود ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ من تلك الأمم ، فإن آثارهم موجودة . ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه** ﴾ أى واذكر لهم وقت قوله لأبيه وقومه الذين قلدوا آباءهم وعبدوا الأصنام ﴿ **إننى براء مما تعبدون** ﴾ البراء مصدر نعت به للمبالغة ، وهو يستعمل للواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث . قال الجوهرى : وتبرأت من كذا وأنا منه براء وخلاء ، لا يثنى ولا يجمع ؛ لأنه مصدر فى الأصل ، ثم استثنى خالقه من البراءة فقال: ﴿ **إلا الذى فطرنى** ﴾ أى خلقنى ﴿ **فإنه سيهدين** ﴾ سيرشدنى لدينه ويثبتنى على الحق، والاستثناء إما منقطع ، أى لكن الذى فطرنى ، أو متصل من عموم ما، لأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام ، وإخباره بأنه سيهديه جزما لثقته بالله سبحانه وقوة يقينه ﴿**وجعلها كلمة باقية فى عقبه** ﴾ الضمير فى : ﴿ **جعلها** ﴾ عائد إلى قوله : ﴿**إلا الذى فطرنى**﴾ وهى بمعنى التوحيد كأنه قال : وجعل كلمة التوحيد باقية فى عقب إبراهيم وهم ذريته ، فلا يزال فيهم من يوحد الله سبحانه، وفاعل جعلها : إبراهيم ، وذلك حيث وصاهم بالتوحيد وأمرهم بأن يدينوا به كما فى قوله : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾ الآية [البقرة : ١٣٢] ، وقيل: الفاعل هو الله عز وجل ، أى وجعل الله عز وجل كلمة التوحيد باقية فى عقب إبراهيم، والعقب : من بعد . قال مجاهد وقتادة : الكلمة لا إله إلا الله لا يزال من عقبه من يعبد الله إلى يوم القيامة . وقال عكرمة : هى الإسلام . قال ابن زيد : الكلمة هى قوله : ﴿ أسلمت لرب العالمين ﴾ [البقرة : ١٣١] ، وجملة : ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ تعليل للجعل ، أى جعلها باقية رجاء أن يرجع إليها من يشرك منهم بدعاء من يوحد. وقيل: الضمير فى : ﴿ **لعلهم** ﴾ راجع إلى أهل مكة ، أى لعل أهل مكة يرجعون إلى دينك الذى هو دين إبراهيم . وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، والتقدير : فإنه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها إلخ . قال السدى : لعلهم يتوبون ، فيرجعون عما هم عليه إلى عبادة الله .

ثم ذكر سبحانه نعمته على قريش ومن وافقهم من الكفار المعاصرين لهم فقال : ﴿ **بل متعت هؤلاء وآباءهم** ﴾ أضرب عن الكلام الأول إلى ذكر ما متعهم به من الأنفس والأهل والأموال وأنواع النعم وما متع به آباءهم ولم يعاجلهم بالعقوبة ، فاغتروا بالمهلة وأكبوا على الشهوات ﴿ **حتى جاءهم الحق** ﴾ يعنى : القرآن ﴿**ورسول مبين** ﴾ يعنى : محمدا ﷺ ، ومعنى ﴿ **مبين** ﴾ : ظاهر الرسالة واضحها ، أو مبين لهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين فلم يجيبوه ولم يعملوا بما أنزل عليه . ثم بين سبحانه ما صنعوه عند مجيء الحق فقال : ﴿ **ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون** ﴾ أى جاحدون ، فسموا القرآن سحرا وجحدوه . واستحقروا رسول الله ﷺ ﴿ **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾ المراد بالقريتين : مكة والطائف، وبالرجلين : الوليد بن المغيرة من مكة ، وعروة بن مسعود الثقفى من الطائف كذا قال قتادة وغيره . وقال مجاهد وغيره : عتبة بن ربيعة من مكة ، وعمير بن عبد ياليل الثقفى من الطائف ، وقيل غير ذلك . وظاهر النظم أن المراد : رجل من إحدى القريتين عظيم الجاه واسع المال مسوّد فى قومه ، والمعنى : أنه لو كان قرآنا لنزل على رجل عظيم من عظماء القريتين ، فأجاب الله سبحانه عنهم بقوله : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ يعنى : النبوة أو ما هو أعم منها ، والاستفهام للإنكار .

ثم بين أنه سبحانه هو الذى قسم بينهم ما يعيشون به من أمور الدنيا فقال : ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا** ﴾ ولم نفوض ذلك إليهم ، وليس لأحد من العباد أن يتحكم فى شىء بل الحكم لله وحده ، وإذا كان الله سبحانه هو الذى قسم بينهم أرزاقهم ورفع درجات بعضهم على بعض فكيف لا يقنعون بقسمته فى أمر النبوة وتفويضها إلى من يشاء من خلقه . قال مقاتل: يقول: أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا ؟ قرأ الجمهور: ﴿ **معيشتهم**﴾ بالإفراد ، وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن محيصن : « معايشهم » بالجمع ومعنى ﴿**رفعنا بعضكم فوق بعض درجات** ﴾ أنه فاضل بينهم فجعل بعضهم أفضل من بعض فى الدنيا بالرزق والرياسة والقوة والحرية والعقل والعلم . ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض ، فقال: ﴿ **ليتخذ بعضهم بعضا سخريا** ﴾ أى ليستخدم بعضهم بعضا، فيستخدم الغنى الفقير، والرئيس المرؤوس، والقوى الضعيف والحر العبد والعاقل من هو دونه فى العقل والعالم الجاهل ، وهذا فى غالب أحوال أهل الدنيا ، وبه تتم مصالحهم وينتظم معاشهم ويصل كل واحد منهم إلى مطلوبه ، فإن كل صناعة دنيوية يحسنها قوم دون آخرين ، فجعل البعض محتاجا إلى البعض لتحصل المواساة بينهم فى متاع الدنيا ، ويحتاج هذا إلى هذا ، ويصنع هذا لهذا ، ويعطى هذا هذا . قال السدى وابن زيد : ﴿ **سخريا** ﴾ : خولا [1] وخدما ، يسخر الأغنياء الفقراء فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض . وقال قتادة والضحاك : ليملك بعضهم بعضا . وقيل : هو من السخرية التى بمعنى الاستهزاء ، وهذا وإن كان مطابقا للمعنى اللغوى ، ولكنه بعيد من معنى القرآن ومناف لما هو

(١) فى المطبوعة : « سخرنا خولنا وخدما » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

مقصود السياق ﴿ **ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ يعنى بالرحمة : ما أعده الله لعباده الصالحين فى الدار الآخرة . وقيل : هى النبوة، لأنها المراد بالرحمة المتقدمة فى قوله: ﴿**أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ ولا مانع من أن يراد كل ما يطلق عليه اسم الرحمة إما شمولا أو بدلا ، ومعنى ﴿**مما يجمعون** ﴾ : ما يجمعونه من الأموال وسائر متاع الدنيا .

ثم بين سبحانه حقارة الدنيا عنده فقال : ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة** ﴾ أى لولا أن يجتمعوا على الكفر ميلا إلى الدنيا وزخرفها ﴿**لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة**﴾ جمع الضمير فى بيوتهم وأفرده فى يكفر باعتبار معنى من ولفظها ، ولبيوتهم بدل اشتمال من الموصول. والسقف جمع سقف. قرأ الجمهور بضم السين والقاف كرَهْن ورُهُن . قال أبو عبيدة: ولا ثالث لهما . وقال الفراء : هو جمع سقيف نحو كثيب وكثب ورغيف ورغف . وقيل : هو جمع سقوف فيكون جمعا للجمع . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح السين وإسكان القاف على الإفراد ومعناه الجمع لكونه للجنس . قال الحسن : معنى الآية : لولا أن يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة لأعطيناهم فى الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عند الله وقال بهذا أكثر المفسرين . وقال ابن زيد : لولا أن يكون الناس أمة واحدة فى طلب الدنيا واختيارهم لها على الآخرة . وقال الكسائى : المعنى : لولا أن يكون فى الكفار غنى وفقير ، وفى المسلمين مثل ذلك لأعطينا الكفار من الدنيا هذا لهوانها ﴿ **ومعارج عليها يظهرون** ﴾ المعارج : الدرج جمع معراج ، والمعراج : السلم . قال الأخفش : إن شئت جعلت الواحدة مَعْرَج ومِعْرَج مثل: مَرْقاة ومِرْقاة ، والمعنى : فجعلنا لهم معارج من فضة عليها يظهرون ، أى على المعارج يرتقون ويصعدون ، يقال : ظهرت على البيت ، أى علوت سطحه ، ومنه قول النابغة :

بلغنا السما مجدا وفخرا وسؤددا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

أى مصعدا ﴿ **ولبيوتهم أبوابا وسررا** ﴾ أى وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة وسررا من فضة ﴿**عليها يتكئون**﴾ أى على السرر وهو جمع سرير . وقيل : جمع أسرة فيكون جمعا للجمع ، والاتكاء والتوكؤ : التحامل على الشىء ، ومنه : ﴿ أتوكأ عليها ﴾ [طه : ١٨] واتكأ على الشىء فهو متكئ ، والموضع متكأ ، والزخرف : الذهب . وقيل : الزينة أعم من أن تكون ذهبا أو غيره . قال ابن زيد : هو ما يتخذه الناس فى منازلهم من الأمتعة والأثاث . وقال الحسن : النقوش، وأصله الزينة، يقال : زخرفت الدار ، أى زينتها ، وانتصاب ﴿**زخرفا** ﴾ بفعل مقدر ، أى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا ، أو بنزع الخافض ، أى أبوابا وسررا من فضة ومن ذهب، فلما حذف الخافض انتصب . ثم أخبر سبحانه أن جميع ذلك إنما يتمتع به فى الدنيا فقال: ﴿ **وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا** ﴾ قرأ الجمهور : « لما » بالتخفيف وقرأ عاصم وحمزة وهاشم عن ابن عامر بالتشديد . فعلى القراءة الأولى تكون إن هى المخففة من الثقيلة ، وعلى القراءة الثانية هى النافية . و« لما »بمعنى إلا ، أى ما كل ذلك إلا شىء يتمتع به فى الدنيا . وقرأ أبو رجاء بكسر اللام من « لما » على أن اللام للعلة وما موصولة والعائد محذوف، أى للذى هو متاع ﴿ **والآخرة**

عند ربك للمتقين ﴾ أى لمن اتقى الشرك والمعاصى وآمن بالله وحده وعمل بطاعته ، فإنها الباقية التى لا تفنى ونعيمها الدائم الذى لا يزول .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة** ﴾ قال : على دين . وأخرج عبد بن حميد عنه ﴿**وجعلها كلمة باقية** ﴾ قال : لا إله إلا الله ﴿ **فى عقبه** ﴾ قال : عقب إبراهيم ولده . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عنه أيضا أنه سئل عن قول الله : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾ ما القريتان ؟ قال : الطائف ومكة، قيل : فمن الرجلان ؟ قال : عمير بن مسعود ، وخيار قريش . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه أيضا قال : يعنى بالقريتين مكة والطائف ، والعظيم الوليد بن المغيرة القرشى وحبيب بن عمير الثقفى . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا فى الآية قال : يعنون أشرف من محمد ، الوليد بن المغيرة من أهل مكة ، ومسعود بن عمرو الثقفى من أهل الطائف . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة** ﴾ الآية يقول : لولا أن أجعل [(١)] الناس كلهم كفارا لجعلت لبيوت الكفار سقفا من فضة ومعارج من فضة ، وهى درج عليها يصعدون إلى الغرف وسرر فضة ، وزخرفا : وهو الذهب. وأخرج الترمذى وصححه وابن ماجه عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء » [(٢)] .

﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)** ﴾ .

قوله : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن** ﴾ يقال : عشوت إلى النار : قصدتها ، وعشوت عنها أعرضت عنها، كما تقول : عدلت إلى فلان وعدلت عنه ، وملت إليه وملت عنه ، كذا قال الفراء والزجاج وأبو الهيثم والأزهرى . فالمعنى : ومن يعرض عن ذكر الرحمن . قال

---

(١) فى المطبوعة : « لولا أن نفعل » والصحيح ما أثبتناه من ابن جرير ٢٥/ ٤١ ومن الدر المنثور ٦/ ١٧ .

(٢) الترمذى فى الزهد (٢٣٢٠) وقال : « حديث صحيح غريب من هذا الوجه » وابن ماجه فى الزهد (٤١١٠) وفى الزوائد : فى إسناده زكريا بن منظور وهو ضعيف ، وفيه أن أصل المتن صحيح .

الزجاج : معنى الآية أن من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكمة إلى أباطيل المضلين ، يعاقبه الله بشيطان يقيضه له حتى يضله ويلازمه قرينا له ، فلا يهتدى مجازاة له حين آثر الباطل على الحق البين . وقال الخليل : العشو : النظر الضعيف ، ومنه :

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره إذا الريح هبت والمكان جديب

والظاهر أن معنى البيت : القصد إلى النار، لا النظر إليها ببصر ضعيف كما قال الخليل ، فيكون دليلا على ما قدمنا من أنه يأتى بمعنى القصد وبمعنى الإعراض ، وهكذا ما أنشده الخليل مستشهدا به على ما قاله من قول الحطيئة :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

فإن الظاهر أن معناه : تقصد إلى ضوء ناره ، لا تنظر إليها ببصر ضعيف. ويمكن أن يقال: إن المعنى فى البيتين : المبالغة فى ضوء النار وسطوعها ، بحيث لا ينظرها الناظر إلا كما ينظر من هو معشى البصر لما يلحق بصره من الضعف عندما يشاهده من عظم وقودها . وقال أبو عبيدة والأخفش : إن معنى ﴿ **ومن يعش** ﴾ : ومن تظلم عينه ، وهو نحو قول الخليل، وهذا على قراءة الجمهور : ﴿ **ومن يعش** ﴾ بضم الشين من عشا يعشو . وقرأ ابن عباس وعكرمة : « ومن يعش » بفتح الشين ، يقال : عشى الرجل يعشى عشيا : إذا عمى ، ومنه قول الأعشى:

رأت رجـلا غائب الوافديـــ ـن مختلف الخلق أعشى ضريرا

وقال الجوهرى : والعشا مقصور ،مصدر الأعشى : وهو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ، والمرأة عشواء. وقرئ : «يعشو » بالواو على أن « من » موصولة غير متضمنة معنى الشرط . قرأ الجمهور: ﴿ **نقيض له شيطانا** ﴾ بالنون وقرأ السلمى وابن أبى إسحاق ويعقوب وعصمة عن عاصم والأعمش ، بالتحتية مبنيا للفاعل ، وقرأ ابن عباس بالتحتية مبنيا للمفعول ورفع شيطان على النيابة ﴿**فهو له قرين**﴾ أى ملازم له لا يفارقه أو هو ملازم للشيطان لا يفارقه، بل يتبعه فى جميع أموره ويطيعه فى كل ما يوسوس به إليه ﴿ **وإنهم ليصدونهم عن السبيل**﴾ أى وإن الشياطين الذين قيضهم الله لكل أحد ممن يعشو عن ذكر الرحمن كما هو معنى من ﴿**ليصدونهم**﴾ ، أى يحولون بينهم وبين سبيل الحق ويمنعونهم منه ، ويوسوسون لهم أنهم على الهدى حتى يظنوا صدق ما يوسوسون به ، وهو معنى قوله : ﴿ **ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾ أى يحسب الكفار أن الشياطين مهتدون فيطيعونهم ، أو يحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة أنهم فى أنفسهم مهتدون ﴿ **حتى إذا جاءنا** ﴾ قرأ الجمهور بالتثنية ، أى الكافر والشيطان المقارن له ، وقرأ أبو عمر وحمزة والكسائى وحفص بالإفراد ، أى الكافر، أو جاء كل واحد منهما ﴿ **قال** ﴾ الكافر مخاطبا للشيطان :﴿ **يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين** ﴾ أى بعد ما بين المشرق والمغرب ، فغلب المشرق على المغرب . قال مقاتل : يتمنى الكافر أن بينهما بعد مشرق أطول يوم فى السنة

من مشرق أقصر يوم فى السنة ، والأول أولى ، وبه قال الفراء ﴿ **فبئس القرين** ﴾ المخصوص بالذم محذوف ، أى أنت أيها الشيطان .

﴿ **ولن ينفعكم اليوم** ﴾ هذا حكاية لما سيقال لهم يوم القيامة ﴿ **إذ ظلمتم** ﴾ أى لأجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا ، وقيل : إن « إذ » بدل من اليوم؛ لأنه تبين فى ذلك اليوم أنهم ظلموا أنفسهم فى الدنيا . قرأ الجمهور : ﴿ **أنكم فى العذاب مشتركون** ﴾ بفتح أن على أنها وما بعدها فى محل رفع على الفاعلية ، أى لن ينفعكم اليوم اشتراككم فى العذاب . قال المفسرون : لا يخفف عنهم بسبب الاشتراك شيء من العذاب ؛ لأن لكل أحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر منه . وقيل : إنها للتعليل لنفى النفع ، أى لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا ، ويقوى هذا المعنى قراءة ابن عامر على اختلاف عليه فيها بكسر إن . ثم ذكر سبحانه أنها لا تنفع الدعوة والوعظ من سبقت له الشقاوة فقال : ﴿**أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى** ﴾ الهمزة لإنكار التعجب ، أى ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك إن كفروا ، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وإخبار له أنه لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل ، وقوله : ﴿ **ومن كان فى ضلال مبين** ﴾ عطف على العمى ، أى إنك لا تهدى من كان كذلك ، ومعنى الآية : أن هؤلاء الكفار بمنزلة الصم الذين لا يعقلون ما جئت به ، وبمنزلة العمى الذين لا يبصرونه لإفراطهم فى الضلالة وتمكنهم من الجهالة ﴿ **فإما نذهبن بك** ﴾ بالموت قبل أن ينزل العذاب بهم ﴿ **فإنا منهم منتقمون** ﴾ إما فى الدنيا أو فى الآخرة . وقيل : المعنى : نخرجنك من مكة ﴿ **أو نرينك الذى وعدناهم** ﴾ من العذاب قبل موتك ﴿ **فإنا عليهم مقتدرون**﴾ متى شئنا عذبناهم. قال كثير من المفسرين: قد أراه الله ذلك يوم بدر. وقال الحسن وقتادة : هى فى أهل الإسلام يريد ما كان بعد النبى ﷺ من الفتن ، وقد كان بعد النبى ﷺ فتنة شديدة، فأكرم الله نبيه ﷺ وذهب به فلم يره فى أمته شيئا من ذلك، والأول أولى.

﴿ **فاستمسك بالذى أوحى إليك** ﴾ أى من القرآن وإن كذب به من كذب ﴿ **إنك على صراط مستقيم** ﴾ أى طريق واضح ، والجملة تعليل لقوله : ﴿ **فاستمسك** ﴾ ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك**﴾ أى وإن القرآن لشرف لك ولقومك من قريش إذ نزل عليك وأنت منهم بلغتك ولغتهم ومثله قوله : ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾ [الأنبياء : ١٠] وقيل : بيان لك ولأمتك فيما لكم إليه حاجة، وقيل : تذكرة تذكرون بها أمر الدين وتعملون به ﴿ **وسوف تسألون** ﴾ عما جعله الله لكم من الشرف ، كذا قال الزجاج والكلبى وغيرهما . وقيل : يسألون عما يلزمهم من القيام بما فيه والعمل به ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون**﴾ قال الزهرى وسعيد بن جبير وابن زيد : إن جبريل قال ذلك للنبى ﷺ لما أسرى به . فالمراد : سؤال الأنبياء فى ذلك الوقت عند ملاقاته لهم ، وبه قال جماعة من السلف . وقال المبرد والزجاج وجماعة من العلماء : إن المعنى : واسأل أمم من قد أرسلنا . وبه قال مجاهد والسدى والضحاك وقتادة وعطاء والحسن : ومعنى الآية على القولين : سؤالهم هل أذن الله بعبادة الأوثان

فى ملة من الملل وهل سوغ ذلك لأحد منهم ؟ والمقصود : تقريع مشركى قريش بأن ما هم عليه لم يأت فى شريعة من الشرائع .

وقد أخرج ابن أبى حاتم عن محمد بن عثمان المخزومى أن قريشا قالت : قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلا يأخذه ، فقيضوا لأبى بكر طلحة بن عبيد الله ، فأتاه وهو فى القوم ، فقال أبو بكر : إلام تدعونى ؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى. قال أبو بكر: وما اللات ؟ قال أولاد الله . قال : وما العزى . قال : بنات الله . قال أبو بكر : فمن أمهم ؟ فسكت طلحة فلم يجبه ، فقال لأصحابه : أجيبوا الرجل ، فسكت القوم ، فقال طلحة : قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فأنزل الله : ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن**﴾ الآية . وثبت فى صحيح مسلم وغيره أن مع كل إنسان قرينا من الجن (١) . وأخرج ابن مردويه عن على فى قوله : ﴿ **فإما نذهبن بك** ﴾ قال : ذهب نبيه ﷺ وبقيت نقمته فى عدوه . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أو نرينك الذى وعدناهم** ﴾ قال : يوم بدر . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب من طرق عنه فى قوله : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ قال : شرف لك ولقومك . وأخرج ابن عدى وابن مردويه عن على وابن عباس قالا : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة ويعدهم الظهور ، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك ؟ أمسك فلم يجبهم بشىء لأنه لم يؤمر فى ذلك بشىء حتى نزلت : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك** ﴾ فكان بعد إذا سئل قال : لقريش فلا يجيبونه حتى قبلته الأنصار على ذلك (٢) . وأخرج عبد بن حميد من طريق الكلبى عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا** ﴾ قال: اسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (٥٠) وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣)

(١) مسلم فى صفات المنافقين (٢٨١٤/ ٦٩) والدارمى فى الرقاق ٢/ ٣٠٦ .
(٢) ابن عدى فى الكامل ٣/ ٤٣٦ .

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ (٥٦) ﴾ .

لما أعلم الله سبحانه نبيه بأنه منتقم له من عدوه وذكر اتفاق الأنبياء على التوحيد ، أتبعه بذكر قصة موسى وفرعون وبيان ما نزل بفرعون وقومه من النقمة فقال : ﴿ **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا** ﴾ وهى التسع التى تقدم بيانها ﴿ **إلى فرعون وملئه** ﴾ الملأ: الأشراف ﴿ **فقال إنى رسول رب العالمين** ﴾ أرسلنى إليكم ﴿ **فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون**﴾ استهزاء وسخرية ، وجواب لما هو إذا الفجائية ؛ لأن التقدير : فوجئوا وقت ضحكهم ﴿ **وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها** ﴾ أى كل واحدة من آيات موسى أكبر مما قبلها ، وأعظم قدرا ، مع كون التى قبلها عظيمة فى نفسها . وقيل : المعنى: إن الأولى تقتضى علما والثانية تقتضى علما ، فإذا ضمت الثانية إلى الأولى ازداد الوضوح ، ومعنى الأخوة بين الآيات : أنها متشاكلة متناسبة فى دلالتها على صحة نبوة موسى كما يقال : هذه صاحبة هذه، أى هما قرينتان فى المعنى، وجملة: ﴿ **إلا هى أكبر من أختها** ﴾ فى محل جر صفة لآية ، وقيل : المعنى : أن كل واحدة من الآيات إذا انفردت ظن الظان أنها أكبر من سائر الآيات . ومثل هذا قول القائل :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التى يسرى بها السارى

﴿**وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون**﴾ أى بسبب تكذيبهم بتلك الآيات،والعذاب هو المذكور فى قوله: ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات ﴾ الآية [الأعراف : ١٣٠]، وبين سبحانه أن العلة فى أخذه لهم بالعذاب هو رجاء رجوعهم . ولما عاينوا ما جاءهم به من الآيات البينات والدلالات الواضحات ، ظنوا أن ذلك من قبيل السحر. ﴿ **وقالوا يا أيه الساحر** ﴾ وكانوا يسمون العلماء سحرة ويوقرون السحرة ويعظمونهم ولم يكن السحر صفة ذم عندهم. قال الزجاج : خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر﴿ **ادع لنا ربك بما عهد عندك** ﴾ أى بما أخبرتنا من عهده إليك أنا إذا آمنا كشف عنا العذاب. وقيل: المراد بالعهد: النبوة،وقيل: استجابة الدعوة على العموم ﴿ **إننا لمهتدون** ﴾ أى إذا كشف عنا العذاب الذى نزل بنا فنحن مهتدون فيما يستقبل من الزمان ، ومؤمنون بما جئت به . ﴿ **فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون** ﴾ فى الكلام حذف ، والتقدير: فدعا موسى ربه فكشف عنهم العذاب ، فلما كشف عنهم العذاب فوجئوا وقت نكثهم للعهد الذى جعلوه على أنفسهم من الاهتداء ، والنكث : النقض .

﴿ **ونادى فرعون فى قومه** ﴾ قيل : لما رأى تلك الآيات خاف ميل القوم إلى موسى ، فجمعهم ونادى بصوته فيما بينهم أو أمر مناديا ينادى بقوله : ﴿ **يا قوم أليس لى ملك مصر** ﴾ لا ينازعنى فيه أحد ولا يخالفنى مخالف ﴿ **وهذه الأنهار تجرى من تحتى** ﴾ أى من تحت قصرى ؟ والمراد : أنهار النيل . وقال قتادة : المعنى : تجرى بين يدى . وقال الحسن : تجرى بأمرى ، أى تجرى تحت أمرى . وقال الضحاك : أراد بالأنهار: القواد والرؤساء والجبابرة وأنهم يسيرون تحت

لوائه . وقيل : أراد بالأنهار: الأموال ، والأول أولى . والواو فى : ﴿ **وهذه** ﴾ عاطفة على ملك مصر ، و﴿ **تجرى** ﴾ فى محل نصب على الحال أو هى واو الحال ، واسم الإشارة مبتدأ ، والأنهار صفة له ، وتجرى خبره ، والجملة فى محل نصب ﴿ **أفلا تبصرون** ﴾ ذلك وتستدلون به على قوة ملكى وعظيم قدرى وضعف مومى عن مقاومتى ﴿ **أم أنا خير من هذا الذى هو مهين**﴾ أم : هى المنقطعة المقدرة ببل التى للإضراب دون الهمزة التى للإنكار ، أى بل أنا خير . قال أبو عبيدة : أم بمعنى بل ، والمعنى : قال فرعون لقومه : بل أنا خير . وقال الفراء : إن شئت جعلتها من الاستفهام الذى جعل بأم لاتصاله بكلام قبله . وقيل : هى زائدة ، وحكى أبو زيد عن العرب أنهم يجعلون أم زائدة ، والمعنى : أنا خير من هذا . وقال الأخفش : فى الكلام حذف ، والمعنى : أفلا تبصرون أم تبصرون ؟ ثم ابتدأ فقال : ﴿ **أنا خير** ﴾ وروى عن الخليل وسيبويه نحو قول الأخفش ، ويؤيد هذا أن عيسى الثقفى ويعقوب الحضرمى وقفا على « أم » على تقدير أم تبصرون ، فحذف لدلالة الأول عليه ، وعلى هذا فتكون أم متصلة لا منقطعة والأول أولى . ومثله قول الشاعر الذى أنشده الفراء :

بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى ... وصورتها أم أنت فى العين أملح ؟

أى بل أنت . وحكى الفراء أن بعض القراء قرأ : « أما أنا خير » ؟ أى ألست خيرا من هذا الذى هو مهين ، أى ضعيف حقير ممتهن فى نفسه لا عز له ﴿ **ولا يكاد يبين** ﴾ الكلام لما فى لسانه من العقدة ، وقد تقدم بيانه فى سورة طه . ﴿ **فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب** ﴾ أى فهلا حلى بأساورة الذهب إن كان عظيما، وكان الرجل فيهم إذا سودوه سوروه بسوار من ذهب، وطوقوه بطوق من ذهب . قرأ الجمهور : ﴿ **أساورة** ﴾ جمع أسورة جمع سوار. وقال أبو عمرو ابن العلاء : واحد الأساورة والأساور والأساوير أسوار ، وهى لغة فى سوار . وقرأ حفص : ﴿**أسورة** ﴾ جمع سوار ، وقرأ أبى : «أساور » ، وابن مسعود : « أساوير » . قال مجاهد : كانوا إذا سودوا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته. ﴿ **أو جاء معه الملائكة مقترنين** ﴾ معطوف على ألقى، والمعنى : هلا جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين إن كان صادقا يعينونه على أمره ويشهدون له بالنبوة، فأوهم اللعين قومه أن الرسل لابد أن يكونوا على هيئة الجبابرة ومحفوفين بالملائكة .

﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه** ﴾ أى حملهم على خفة الجهل والسفه بقوله وكيده وغروره ، فأطاعوه فيما أمرهم به ، وقبلوا قوله وكذبوا موسى ﴿ **إنهم كانوا قوما فاسقين** ﴾ أى خارجين عن طاعة الله . قال ابن الأعرابى : المعنى : فاستجهل قومه فأطاعوه بخفة أحلامهم وقلة عقولهم ، يقال : استخفه الفرح ، أى أزعجه ، واستخفه ، أى حمله ، ومنه : ﴿ ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ [الروم : ٦٠] وقيل : استخف قومه ، أى وجدهم خفاف العقول وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه ﴿ **فلما آسفونا انتقمنا منهم** ﴾ قال المفسرون : أغضبونا، والأسف :الغضب . وقيل : أشد الغضب ، وقيل : السخط . وقيل : المعنى :

أغضبوا رسلنا. ثم بين العذاب الذى وقع به الانتقام فقال : ﴿ **فأغرقناهم أجمعين** ﴾ فى البحر ﴿**فجعلناهم سلفا** ﴾ أى قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار فى استحقاق العذاب . قرأ الجمهور : ﴿ **سلفا** ﴾ بفتح السين واللام جمع سالف كخدم وخادم ، ورصد وراصد ، وحرس وحارس ، يقال : سلف يسلف : إذا تقدم ومضى . قال الفراء والزجاج : جعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون، وقرأ حمزة والكسائى : « سلفا » بضم السين واللام . قال الفراء : هو جمع سليف، نحو سرر وسرير . وقال أبو حاتم : هو جمع سلف نحو خشب وخشب . وقرأ على وابن مسعود وعلقمة وأبو وائل والنخعى وحميد بن قيس بضم السين وفتح اللام جمع سلفة وهى الفرقة المتقدمة نحو غرف وغرفة ، كذا قال النضر بن شميل ﴿ **ومثلا للآخرين** ﴾ أى عبرة وموعظة لمن يأتى بعدهم ، أو قصة عجيبة تجرى مجرى الأمثال .

وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ولا يكاد يبين** ﴾ قال : كانت بموسى لثغة فى لسانه . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه ﴿ **فلما آسفونا** ﴾ قال : أسخطونا . وأخرجا عنه أيضا : ﴿ **آسفونا** ﴾ قال : أغضبونا ، وفى قوله: ﴿ **سلفا** ﴾ قال : أهواء مختلفة . وأخرج أحمد والطبرانى ، والبيهقى فى الشعب وابن أبى حاتم عن عقبة بن عامر ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيت الله يعطى العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك استدراج منه له » ، وقرأ : ﴿ **فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين** ﴾ (١) . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن طارق بن شهاب قال : كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجأة فقال: تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ، فلما آسفونا انتقمنا منهم .

﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٦٦) الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ**

---

(١) أحمد ٤/ ١٤٥ والطبرانى ٧/ ٢٣٠، ٢٣١ (٩١٣٠) والبيهقى فى الشعب (٤٢٢٠) ورجاله كلهم ثقات.

وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) ﴾ .

لما قال سبحانه : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** ﴾ تعلق المشركون بأمر عيسى وقالوا : ما يريد محمد إلا أن نتخذه إلها كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ، فأنزل الله: ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلا** ﴾ كذا قال قتادة ومجاهد . وقال الواحدى : أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت فى مجادلة ابن الزبعرى مع النبى ﷺ لما نزل قوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فقال ابن الزبعرى : خصمتك ورب الكعبة ، أليست النصارى يعبدون المسيح ، واليهود عزيرا، وبنو مليح الملائكة ؟ ففرح بذلك من قوله ، فأنزل الله : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠١] ونزلت هذه الآية المذكورة هنا ، وقد مضى هذا فى سورة الأنبياء. ولا يخفاك أن ما قاله ابن الزبعرى مندفع من أصله وباطل برمته ، فإن الله سبحانه قال : ﴿**إنكم وما تعبدون** ﴾ ولم يقل : «ومن تعبدون » حتى يدخل فى ذلك العقلاء كالمسيح وعزير والملائكة ﴿ **إذا قومك منه يصدون** ﴾ أى إذا قومك يامحمد من ذلك المثل المضروب يصدون ، أى يضجون ويصيحون فرحا بذلك المثل المضروب ، والمراد بقومه هنا : كفار قريش . قرأ الجمهور : ﴿**يصدون** ﴾ بكسر الصاد ، وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بضمها . قال الكسائى والفراء والزجاج والأخفش : هما لغتان ومعناهما : يضجون قال الجوهرى : صدّ يصدّ صديدا : أى ضجّ. وقيل : إنه بالضم : الإعراض ، وبالكسر من الضجيج ، قاله قطرب . قال أبو عبيد : لو كانت من الصدود عن الحق لقال : إذا قومك عنه يصدون . وقال الفراء : هما سواء منه وعنه. وقال أبو عبيدة : من ضم فمعناه : يعدلون ، ومن كسر فمعناه : يضجون.

﴿ **وقالوا ءآلهتنا خير أم هو** ﴾ أى ءآلهتنا خير أم المسيح ؟ قال السدى وابن زيد : خاصموه وقالوا : إن كان كل من عبد غير الله فى النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة. وقال قتادة : يعنون محمدا، أى ءآلهتنا خير أم محمد ؟ ويقوى هذا قراءة ابن مسعود: ءآلهتنا خير أم هذا . قرأ الجمهور بتسهيل الهمزة الثانية بين بين ، وقرأ الكوفيون ويعقوب بتحقيقها . ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلا** ﴾ أى ما ضربوا لك هذا المثل فى عيسى إلا ليجادلوك ، على أن جدلا منتصب على العلة ، أو مجادلين على أنه مصدر فى موضع الحال ، وقرأ ابن مقسم : « جدالا » ﴿ **بل هم قوم خصمون** ﴾ أى شديدو الخصومة كثيرواللدد عظيمو الجدل . ثم بين سبحانه أن عيسى ليس برب وإنما هو عبد من عباده اختصه بنبوته فقال : ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه**﴾ بما أكرمناه به ﴿**وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل**﴾ أى آية وعبرة لهم يعرفون به قدرة الله سبحانه ، فإنه كان من غير أب، وكان يحيى الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ، وكل مريض .

﴿ **ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون** ﴾ أى لو نشاء أهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون ، أى يخلفونكم فيها. قال الأزهرى : ومن قد تكون للبدل كقوله ﴿**لجعلنا منكم** ﴾ يريد : بدلا منكم . وقيل : المعنى : لو نشاء لجعلنا من بنى آدم ملائكة . والأول أولى . ومقصود الآية : أنا لو نشاء لأسكنا الملائكة الأرض وليس فى إسكاننا إياهم السماء شرف حتى يعبدوا . وقيل معنى ﴿ **يخلفون** ﴾ : يخلف بعضهم بعضا .

﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ قال مجاهد والضحاك والسدى وقتادة : إن المراد : المسيح ، وإن خروجه مما يعلم به قيام الساعة لكونه شرطا من أشراطها ؛ لأن الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة ، كما أن خروج الدجال من أعلام الساعة . وقال الحسن وسعيد بن جبير : المراد : القرآن؛ لأنه يدل على قرب مجيء الساعة، وبه يعلم وقتها وأهوالها وأحوالها . وقيل : المعنى: أن حدوث المسيح من غير أب وإحياءه للموتى دليل على صحة البعث . وقيل : الضمير لمحمد ﷺ ، والأول أولى . قرأ الجمهور : ﴿ **لعلم** ﴾ بصيغة المصدر جعل المسيح علما مبالغة لما يحصل من العلم بحصولها عند نزوله ، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وأبو مالك الغفارى وقتادة ومالك بن دينار والضحاك وزيد بن على بفتح العين واللام ، أى خروجه علم من أعلامها ، وشرط من شروطها ، وقرأ أبو نضرة وعكرمة : « وإنه للعلم » بلامين مع فتح العين واللام ، أى للعلامة التى يعرف بها قيام الساعة ﴿ **فلا تمترن بها** ﴾ أى فلا تشكن فى وقوعها ولا تكذبن بها ، فإنها كائنة لا محالة ﴿**واتبعون هذا صراط مستقيم** ﴾ أى اتبعونى فيما آمركم به من التوحيد وبطلان الشرك ، وفرائض الله التى فرضها عليكم، وهذا الذى آمركم به وأدعوكم إليه طريق قيم موصل إلى الحق . قرأ الجمهور بحذف الياء من ﴿ **اتبعون** ﴾ وصلا ووقفا ، وكذلك قرؤوا بحذفها فى الحالين فى ﴿**أطيعون** ﴾ وقرأ يعقوب بإثباتها وصلا ووقفا فيهما وقرأ أبو عمرو وهى رواية عن نافع بحذفها فى الوصل دون الوقف ﴿ **ولا يصدنكم الشيطان** ﴾ أى لا تغتروا بوساوسه وشبهه التى يوقعها فى قلوبكم فيمنعكم ذلك من اتباعى ، فإن الذى دعوتكم إليه هو دين الله الذى اتفق عليه رسله وكتبه . ثم علل نهيهم عن أن يصدهم الشيطان ، ببيان عداوته لهم فقال : ﴿ **إنه لكم عدو مبين** ﴾ أى مظهر لعداوته لكم غير متحاش عن ذلك ولا متكتم به كما يدل على ذلك ما وقع بينه وبين آدم وما ألزم به نفسه من إغواء جميع بنى آدم إلا عباد الله المخلصين .

﴿ **ولما جاء عيسى بالبينات** ﴾ أى جاء إلى بنى إسرائيل بالمعجزات الواضحة والشرائع . قال قتادة : البينات هنا : الإنجيل ﴿ **قال قد جئتكم بالحكمة** ﴾ أى النبوة . وقيل : الإنجيل . وقيل : ما يرغب فى الجميل ويكف عن القبيح ﴿ **ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه** ﴾ من أحكام التوراة . وقال قتادة : يعنى اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى . قال الزجاج : الذى جاء به عيسى فى الإنجيل إنما هو بعض الذى اختلفوا فيه ، فبين لهم فى غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. وقيل: إن بنى إسرائيل اختلفوا بعد موت موسى فى أشياء من أمر دينهم . وقال أبو عبيدة: إن البعض هنا بمعنى الكل كما فى قوله: ﴿ يصبكم بعض الذى يعدكم ﴾ [غافر : ٢٨] وقال

مقاتل : هوكقوله: ﴿ **ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم** ﴾ [آل عمران: ٥٠] يعنى: ما أحل فى الإنجيل مما كان محرما فى التوراة كلحم الإبل والشحم من كل حيوان ، وصيد السمك يوم السبت واللام فى : ﴿ **ولأبين لكم** ﴾ معطوفة على مقدر كأنه قال : قد جئتكم بالحكمة لأعلمكم إياها ولأبين لكم . ثم أمرهم بالتقوى والطاعة فقال : ﴿ **فاتقوا الله** ﴾ أى اتقوا معاصيه ﴿**وأطيعون** ﴾ فيما آمركم به من التوحيد والشرائع ﴿ **إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه** ﴾ هذا بيان لما أمرهم بأن يطيعوه فيه ﴿ **هذا صراط مستقيم** ﴾ أى عبادة الله وحده والعمل بشرائعه ﴿**فاختلف الأحزاب من بينهم** ﴾ قال مجاهد والسدى : الأحزاب هم : أهل الكتاب من اليهود والنصارى . وقال الكلبى ومقاتل : هم فرق النصارى اختلفوا فى أمر عيسى . قال قتادة : ومعنى ﴿ **من بينهم** ﴾ : أنهم اختلفوا فيما بينهم . وقيل : اختلفوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى ، والأحزاب هى الفرق المتحزبة ﴿ **فويل للذين ظلموا** ﴾ من هؤلاء المختلفين ، وهم الذين أشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه ﴿ **من عذاب يوم أليم** ﴾ أى أليم عذابه وهو يوم القيامة ﴿**هل ينظرون إلا الساعة**﴾ أى هل يرتقب هؤلاء الأحزاب وينتظرون إلا الساعة ﴿**أن تأتيهم بغتة**﴾ أى فجأة ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ أى لا يفطنون بذلك ، وقيل : المراد بالأحزاب : الذين تحزبوا على النبى ﷺ وكذبوه ، وهم المرادون بقوله : ﴿**هل ينظرون إلا الساعة** ﴾ والأول أولى .

﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو** ﴾ أى الأخلاء فى الدنيا المتحابون فيها ،يوم تأتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو، أى يعادى بعضهم بعضا ؛ لأنها قد انقطعت بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه ، ووجدوا تلك الأمور التى كانوا فيها أخلاء أسبابا للعذاب فصاروا أعداء. ثم استثنى المتقين فقال : ﴿ **إلا المتقين** ﴾ فإنهم أخلاء فى الدنيا والآخرة ؛ لأنهم وجدوا تلك الخلة التى كانت بينهم من أسباب الخير والثواب فبقيت خلتهم على حالها . ﴿ **يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون** ﴾ أى يقال لهؤلاء المتقين المتحابين فى الله بهذه المقالة ، فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم ﴿ **الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين** ﴾ الموصول يجوز أن يكون نعتا لعبادى ، أو بدلا منه ، أو عطف بيان له ، أو مقطوعا عنه فى محل نصب على المدح ، أو فى محل رفع بالابتداء وخبره ﴿ **ادخلوا الجنة** ﴾ على تقدير : يقال لهم : ادخلوا الجنة . والأول أولى ، وبه قال الزجاج . قال مقاتل : إذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد : يا عبادى لا خوف عليكم، فإذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤوسهم ، فيقال : الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ، فينكس أهل الأوثان رؤوسهم غير المسلمين . قرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو : «يا عبادى » بإثبات الياء ساكنة وصلا ووقفا ، وقرأ أبو بكر وزر بن حبيش بإثباتها وفتحها فى الحالين ، وقرأ الباقون بحذفها فى الحالين ﴿ **ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم** ﴾ المراد بالأزواج : نساؤهم المؤمنات. وقيل: قرناؤهم من المؤمنين. وقيل: زوجاتهم من الحور العين ﴿ **تحبرون** ﴾ : تكرمون . وقيل : تنعمون . وقيل: تفرحون . وقيل : تسرون . وقيل : تعجبون ، وقيل : تلذذون بالسماع ، والأولى تفسير ذلك بالفرح والسرور الناشئين عن الكرامة والنعمة ﴿ **يطاف**

عليهم بصحاف من ذهب ﴾ الصحاف جمع صحفة : وهى القصعة الواسعة العريضة. قال الكسائى : أعظم القصاع : الجفنة، ثم القصعة، وهى تشبع عشرة ، ثم الصحفة، وهى تشبع خمسة، ثم المكيلة وهى تشبع الرجلين والثلاثة ، والمعنى : أن لهم فى الجنة أطعمة يطاف عليهم بها فى صحاف الذهب ولهم فيها أشربة يطاف عليهم بها فى الأكواب وهى جمع كوب . قال الجوهرى : الكوب : كوز لا عروة له ، والجمع أكواب . قال الأعشى :

صريفية طيب طعمها لها زبد بين كوب ودنْ

وقال آخر :

متكئا تصفق أبوابه يسعى عليه العبد بالكوب

قال قتادة : الكوب : المدوّر القصير العنق القصير العروة ، والإبريق : المستطيل العنق الطويل العروة . وقال الأخفش : الأكواب : الأباريق التى لا خراطيم لها . وقال قطرب : هى الأباريق التى ليست لها عرى. ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين** ﴾ قرأ الجمهور: «تشتهى » وقرأ نافع وابن عامر وحفص : ﴿**تشتهيه**﴾ بإثبات الضمير العائد على الموصول، والمعنى: **ما** تشتهيه أنفس أهل الجنة من فنون الأطعمة والأشربة ونحوهما مما تطلبه النفس وتهواه كائنا ما كان، وتلذ الأعين من كل المستلذات التى تستلذ بها وتطلب مشاهدتها ، تقول : لذ الشىء يلذ لذاذا ولذاذة: إذا وجده لذيذا والتذ به ، وفى مصحف عبد الله بن مسعود : « تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين » ﴿ **وأنتم فيها خالدون** ﴾ لا تموتون ولا تخرجون منها ﴿ **وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ أى يقال لهم يوم القيامة هذه المقالة ، أى صارت إليكم كما يصير الميراث إلى الوارث بما كنتم تعملونه فى الدنيا من الأعمال الصالحة ، واسم الإشارة مبتدأ ، والجنة صفته ، والتى أورثتموها صفة للجنة ، والخبر بما كنتم تعملون ، وقيل : الخبر الموصول مع صلته ، والأول أولى ﴿ **لكم فيها فاكهة كثيرة** ﴾ الفاكهة معروفة ، وهى الثمار كلها رطبها ويابسها ، أى لهم فى الجنة سوى الطعام والشراب فاكهة كثيرة الأنواع والأصناف ﴿ **منها تأكلون** ﴾ « من » تبعيضية أو ابتدائية ، وقدم الجار لأجل الفاصلة .

وقد أخرج أحمد وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس ؛ أن رسول الله ﷺ قال لقريش : « إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » ، قالوا : ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا وقد عبدته النصارى ؟ فإن كنت صادقا فإنه كآلهتهم ، فأنزل الله : ﴿ **ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون** ﴾ (١) قلت : وما يصدون ؟ قال : «يضجون » ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ قال : « خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة » . وأخرج

---

(١) أحمد ١/٣١٧ ، ٣١٨ والطبرانى (١٢٧٤٠) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/١٠٧ : « فيه عاصم ابن بهدلة وثقه أحمد وغيره ، وهو سيئ الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح » .

سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال»، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلا** ﴾ (١) . وقد ورد فى ذم الجدال بالباطل أحاديث كثيرة . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ؛ أن المشركين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : أرأيت ما نعبد من دون الله أين هم ؟ قال : « فى النار»، قالوا : والشمس والقمر ؟ قال : « والشمس والقمر » قالوا : فعيسى ابن مريم قال: « قال الله: ﴿ **إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل** ﴾ ». وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور ومسدد وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى من طرق عنه فى قوله : ﴿ **وإنه لعلم للساعة** ﴾ قال : خروج عيسى قبل يوم القيامة . وأخرجه الحاكم وابن مردويه عنه مرفوعا(٢) . وأخرج عبد بن حميد عن أبى هريرة نحوه .

وأخرج ابن مردويه عن سعد بن معاذ قال : قال رسول الله ﷺ :« إذا كان يوم القيامة انقطعت الأرحام ، وقلت الأنساب ، وذهبت الأخوة إلا الأخوة فى الله ، وذلك قوله : ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ » . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد ، وحميد بن زنجويه فى ترغيبه ، وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن على بن أبى طالب فى قوله : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾ قال : خليلان مؤمنان وخليلان كافران توفى أحد المؤمنين فبشر بالجنة ، فذكر خليله وقال : اللهم إن خليلى فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر وينبئنى أنى ملاقيك، اللهم لا تضله بعدى حتى تريه مثل ما أريتنى وترضى عنه كما رضيت عنى، فيقال له: اذهب ؛ فلو تعلم ماله عندى لضحكت كثيرا ولبكيت قليلا ، ثم يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال : ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : نعم الأخ ونعم الصاحب ونعم الخليل ؛ وإذا مات أحد الكافرين بشر بالنار ، فيذكر خليله ، فيقول: اللهم إن خليلى فلانا كان يأمرنى بمعصيتك ومعصية رسولك ، ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير وينبئنى أنى غير ملاقيك ، اللهم فلا تهده بعدى حتى تريه مثل ما أريتنى وتسخط عليه كما سخطت على، فيموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال : ليثن كل واحد منكما على صاحبه ، فيقول كل منهما لصاحبه : بئس الأخ وبئس الصاحب وبئس الخليل . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : الأكواب : الجرار من الفضة . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحد إلا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار ، فالكافر يرث المؤمن

---

(١) أحمد ٥/٢٥٦ والترمذى فى التفسير (٣٢٥٣) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » وابن ماجه فى المقدمة (٤٨) وابن جرير ٢٥/ ٥٣ والطبرانى (٨٠٦٧) وصححه الحاكم ٢/ ٤٤٧ ، ٤٤٨ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٨٤٣٨) .

(٢) صححه الحاكم ٢/٤٤٨ ووافقه الذهبى .

منزله من النار ، والمؤمن يرث الكافر منزله فى الجنة ، وذلك قوله : ﴿ **وتلك الجنة التى أورثتموها** ﴾ » .

﴿ **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** (٧٤) **لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ** (٧٥) **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ** (٧٦) **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ** (٧٧) **لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** (٧٨) **أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ** (٧٩) **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** (٨٠) **قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ** (٨١) **سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** (٨٢) **فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ** (٨٣) **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ** (٨٤) **وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (٨٥) **وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (٨٦) **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** (٨٧) **وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ** (٨٨) **فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** (٨٩) ﴾ .

قوله : ﴿ **إن المجرمين** ﴾ أى أهل الإجرام الكفرية ، كما يدل عليه إيرادهم فى مقابلة المؤمنين الذين لهم ما ذكره الله سبحانه قبل هذا ﴿ **فى عذاب جهنم خالدون** ﴾ لا ينقطع عنهم العذاب أبدا ﴿ **لا يفتر عنهم** ﴾ أى لا يخفف عنهم ذلك العذاب ، والجملة فى محل نصب على الحال ﴿ **وهم فيه مبلسون** ﴾ أى آيسون من النجاة ، وقيل : ساكتون سكوت يأس، وقد مضى تحقيق معناه فى الأنعام ﴿ **وما ظلمناهم** ﴾ أى ما عذبناهم بغير ذنب ولا بزيادة على ما يستحقونه ﴿**ولكن كانوا هم الظالمين** ﴾ لأنفسهم بما فعلوا من الذنوب . قرأ الجمهور ﴿ **الظالمين** ﴾ بالنصب على أنه خبر كان ، والضمير ضمير فصل . وقرأ أبو زيد النحوى : « الظالمون » بالرفع على أن الضمير مبتدأ وما بعده خبره ، والجملة خبر كان ﴿ **ونادوا يا مالك** ﴾ أى نادى المجرمون هذا النداء ، ومالك هو خازن النار . قرأ الجمهور : ﴿ **يا مالك** ﴾ بدون ترخيم . وقرأ على وابن مسعود ويحيى بن وثاب والأعمش : « يا مال » بالترخيم ﴿ **ليقض علينا ربك** ﴾ بالموت ، توسلوا بمالك إلى الله سبحانه ليسأله لهم أن يقضى عليهم بالموت ليستريحوا من العذاب ﴿ **قال إنكم ماكثون** ﴾ أى مقيمون فى العذاب . قيل : سكت عن إجابتهم ثمانين سنة ، ثم أجابهم بهذا الجواب . وقيل : سكت عنهم ألف عام . وقيل : مائة سنة . وقيل : أربعين سنة.

﴿ **لقد جئناكم بالحق** ﴾ يحتمل أن يكون هذا من كلام الله سبحانه ، ويحتمل أن يكون من كلام مالك ، والأول أظهر ؛ والمعنى : إنا أرسلنا إليكم الرسل وأنزلنا عليهم الكتب فدعوكم فلم

تقبلوا ولم تصدقوا ، وهو معنى قوله: ﴿ **ولكن أكثركم للحق كارهون** ﴾ لا يقبلونه ؛ والمراد بالحق: كل ما أمر الله به على ألسن رسله وأنزله فى كتبه . وقيل : هو خاص بالقرآن . وقيل : ومعنى ﴿ **أكثركم** ﴾ : كلكم . وقيل : أراد الرؤساء والقادة ، ومن عداهم أتباع لهم .﴿ **أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون** ﴾ أم :هى المنقطعة التى بمعنى بل والهمزة : أى بل أبرموا أمرا . وفى ذلك انتقال من توجع أهل النار إلى حكاية ما يقع من هؤلاء ، والإبرام : الإتقان والإحكام ، يقال : أبرمت الشىء : أحكمته وأتقنته ، وأبرم الحبل : إذا أحكم فتله ، والمعنى : بل أحكموا كيدا للنبى ﷺ ، فإنا محكمون لهم كيدا ، قاله مجاهد وقتادة وابن زيد ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ [الطور: ٤٢] وقيل : المعنى : أم قضوا أمرا فإنا قاضون عليهم أمرنا بالعذاب، قاله الكلبى . ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم** ﴾ أى بل أيحسبون أنا لا نسمع ما يسرون به فى أنفسهم ، أو ما يتحادثون به سرا فى مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم ﴿ **بلى** ﴾ نسمع ذلك ونعلم به ﴿ **ورسلنا لديهم يكتبون** ﴾ أى الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول أو فعل ، والجملة فى محل نصب على الحال ، أو معطوفة على الجملة التى تدل عليها بلى .

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يقول للكفار قولا يلزمهم به الحجة ويقطع ما يوردونه من الشبهة فقال : ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ أى إن كان له ولد فى قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الله وحده ؛ لأن من عبد الله وحده فقد دفع أن يكون له ولد ، كذا قال ابن قتيبة . وقال الحسن والسدى : إن المعنى ما كان للرحمن ولد ، ويكون قوله : ﴿**فأنا أول العابدين** ﴾ ابتداء كلام . وقيل : المعنى : قل يا محمد : إن ثبت لله ولد ، فأنا أول من يعبد هذا الولد الذى تزعمون ثبوته ، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد . وفيه نفى للولد على أبلغ وجه وأتم عبارة وأحسن أسلوب ، وهذا هو الظاهر من النظم القرآنى ، ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ [سبأ : ٢٤] ومثل هذا قول الرجل لمن يناظره : إن ثبت ما تقوله بالدليل ، فأنا أول من يعتقده ويقول به ، فتكون « إن » فى : ﴿**إن كان** ﴾ شرطية، ورجح هذا ابن جرير وغيره. وقيل: معنى ﴿ **العابدين** ﴾ :الآنفين من العبادة، وهو تكلف لا ملجئ إليه، ولكنه قرأ أبو عبد الرحمن اليمانى : « العبدين » بغير ألف ، يقال : عبد يعبد عبدا بالتحريك : إذا أنف وغضب فهو عبد ، والاسم العبدة مثل الأنفة ، ولعل الحامل لمن قرأ هذه القراءة الشاذة البعيدة هو استبعاد معنى : ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ وليس بمستبعد ولا مستنكر . وقد حكى الجوهرى عن أبى عمرو فى قوله : ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ أنه من الأنف والغضب . وحكاه الماوردى عن الكسائى والقتيبى ، وبه قال الفراء . وكذا قال ابن الأعرابى : إن معنى ﴿ **العابدين** ﴾ : الغضاب الآنفين . وقال أبو عبيدة : معناه : الجاحدين ، وحكى : عبدنى حقى ، أى جحدنى ، وقد أنشدوا على هذا المعنى الذى قالوه قول الفرزدق :

أولئك أجلاسى فجئنى بمثلهم   وأعبد أن أهجو كليبا بدارم

وقوله أيضا :

أولئك ناس لو هجونى هجوتهم وأعبد أن يهجى كليب بدارم

ولا شك أن عبد وأعبد بمعنى أنف أو غضب . ثابت فى لغة العرب وكفى بنقل هؤلاء الأئمة حجة ، ولكن جعل ما فى القرآن من هذا ، من التكليف الذى لا ملجئ إليه ومن التعسف الواضح. وقد رد ابن عرفة ما قالوه فقال: إنما يقال : عبد يعبد فهو عبد ، وقل ما يقال : عابد، والقرآن لا يأتى بالقليل من اللغة ولا الشاذ . قرأ الجمهور : ﴿ **ولد** ﴾ بالإفراد ، وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما : « ولد » بضم الواو وسكون اللام ﴿ **سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون** ﴾ أى تنزيها له وتقديسا عما يقولون من الكذب بأن له ولدا ، ويفترون عليه سبحانه ما لا يليق بجنابه . وهذا إن كان من كلام الله سبحانه، فقد نزه نفسه عما قالوه ، وإن كان من تمام كلام رسوله الذى أمره بأن يقوله؛ فقد أمره بأن يضم إلى ما حكاه عنهم بزعمهم الباطل تنزيه ربه وتقديسه ﴿ **فذرهم يخوضوا ويلعبوا** ﴾ أى اترك الكفار حيث لم يهتدوا بما هديتهم به ولا أجابوك فيما دعوتهم إليه، يخوضوا فى أباطيلهم ويلهوا فى دنياهم ﴿ **حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون** ﴾ وهو يوم القيامة. وقيل : العذاب فى الدنيا . قيل : وهذا منسوخ بآية السيف . وقيل : هو غير منسوخ وإنما أخرج مخرج التهديد . قرأ الجمهور : ﴿ **يلاقوا** ﴾ وقرأ مجاهد وابن محيصن وحميد وابن السميقع : « حتى يلقوا » بفتح الياء وإسكان اللام من غير ألف ، ورويت هذه القراءة عن أبى عمرو .

﴿ **وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله** ﴾ الجار والمجرور فى الموضعين متعلق بإله لأنه بمعنى معبود أومستحق للعبادة ، والمعنى : وهو الذى معبود فى السماء ومعبود فى الأرض ، أو مستحق للعبادة فى السماء والعبادة فى الأرض . قال أبو على الفارسى : ﴿ **وإله** ﴾ فى الموضعين مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى وهو الذى فى السماء هو إله وفى الأرض هو إله ، وحسن حذفه لطول الكلام ، قال : والمعنى على الإخبار بألوهيته ، لا على الكون فيهما . قال قتادة : يعبد فى السماء والأرض ، وقيل : فى بمعنى على ، أى هو القادر على السماء والأرض كما فى قوله : ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾ [طه : ٧١] وقرأ عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وابن مسعود : « وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله» على تضمين العلم معنى نشتق فيتعلق به الجار والمجرور من هذه الحيثية ﴿ **وهو الحكيم العليم** ﴾ أى البليغ الحكمة الكثير العلم ﴿ **وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما** ﴾ تبارك : تفاعل من البركة وهى كثرة الخيرات ، والمراد بما بينهما : الهواء وما فيه من الحيوانات ﴿ **وعنده علم الساعة** ﴾ أى علم الوقت الذى يكون قيامها فيه ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير وشر ، وفيه وعيد شديد . قرأ الجمهور : ﴿ **ترجعون** ﴾ بالفوقية ، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالتحتية ﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة** ﴾ أى لا يملك من يدعونه من دون الله من الأصنام ونحوها ، الشفاعة عند الله كما يزعمون أنهم يشفعون لهم . قرأ الجمهور ﴿ **يدعون** ﴾

بالتحتية ، وقرأ السلمى وابن وثاب بالفوقية ﴿ **إلا من شهد بالحق** ﴾ أى التوحيد ﴿**وهم يعلمون**﴾ أى هم على علم وبصيرة بما شهدوا به ، والاستثناء يحتمل أن يكون متصلا ، والمعنى : إلا من شهد بالحق ، وهم : المسيح وعزير والملائكة ، فإنهم يملكون الشفاعة لمن يستحقها . وقيل : هو منقطع ، والمعنى : لكن من شهد بالحق يشفع فيه هؤلاء . ويجوز أن يكون المستثنى منه محذوفا، أى لا يملكون الشفاعة فى أحد إلا فيمن شهد بالحق . قال سعيد بن جبير وغيره : معنى الآية: أنه لا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة . وقال قتادة: لا يشفعون لعابديها، بل يشفعون لمن شهد بالوحدانية . وقيل : مدار الاتصال فى هذا الاستثناء، على جعل الذين يدعون عاما لكل ما يعبد من دون الله ، ومدار الانقطاع ،على جعله خاصا بالأصنام .

﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ اللام هى الموطئة للقسم ، والمعنى : لئن سألت هؤلاء المشركين العابدين للأصنام : من خلقهم ؟ أقروا واعترفوا بأن خالقهم الله ولا يقدرون على الإنكار ، ولا يستطيعون الجحود لظهور الأمر وجلائه ﴿**فأنى يؤفكون** ﴾ أى فكيف ينقلبون عن عبادة الله إلى عبادة غيره وينصرفون عنها مع هذا الاعتراف ، فإن المعترف بأن الله خالقه إذا عمد إلى صنم أو حيوان وعبده مع الله أو عبده وحده ؛ فقد عبد بعض مخلوقات الله ، وفى هذا من الجهل ما لا يقادر قدره . يقال : أفكه يأفكه إفكا : إذا قلبه وصرفه عن الشىء . وقيل: المعنى : ولئن سألت المسيح وعزيرا والملائكة : من خلقهم ؟ ليقولن :الله ، فأنى يؤفك هؤلاء الكفار فى اتخاذهم لها آلهة . وقيل : المعنى : ولئن سألت العابدين والمعبودين جميعا . قرأ الجمهور : « وقيله » بالنصب عطفا على محل الساعة ، كأنه قيل : إنه يعلم الساعة ويعلم قيله، أو عطفا على « سرهم ونجواهم » ، أى يعلم سرهم ونجواهم ويعلم قيله ، أو عطفا على مفعول « يكتبون » المحذوف ، أى يكتبون ذلك ويكتبون قيله ، أو عطفا على مفعول يعلمون المحذوف ، أى يعلمون ذلك ويعلمون قيله، أو هو مصدر ، أى قال قيله ، أو منصوب بإضمار فعل ، أى الله يعلم قيل : رسوله ، أو هو معطوف على محل بالحق ، أى شهد بالحق وبقيله ، أو منصوب على حذف حرف القسم . ومن المجوزين للوجه الأول المبرد وابن الأنبارى ، ومن المجوزين للثانى الفراء والأخفش، ومن المجوزين للنصب على المصدرية الفراء والأخفش أيضا. وقرأ حمزة وعاصم : ﴿ **وقيله** ﴾ بالجر عطفا على لفظ الساعة ، أى وعنده علم الساعة وعلم قيله ، والقول والقال والقيل بمعنى واحد. أو على أن الواو للقسم. وقرأ قتادة ومجاهد والحسن وأبو قلابة والأعرج وابن هرمز ومسلم بن جندب : « وقيله » بالرفع عطفا على علم الساعة، أى وعنده علم الساعة وعنده قيله ، أو على الابتداء ، وخبره الجملة المذكورة بعده ، أو خبره محذوف تقديره : وقيله كيت وكيت ، أو وقيله مسموع . قال أبو عبيد : يقال قلت قولا وقيلا وقالا ، والضمير فى: ﴿ **وقيله** ﴾ راجع إلى النبى ﷺ . قال قتادة : هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه ،

وقيل: الضمير عائد إلى المسيح، وعلى الوجهين فالمعنى: أنه قال مناديا لربه ﴿**يا رب إن هؤلاء**﴾ الذين أرسلتنى إليهم ﴿ **قوم لا يؤمنون** ﴾ .

ثم لما نادى ربه بهذا ؛ أجابه بقوله : ﴿ **فاصفح عنهم** ﴾ أى أعرض عن دعوتهم ﴿ **وقل سلام** ﴾ أى : أمرى تسليم منكم ومتاركة لكم . قال عطاء : يريد مداراة حتى ينزل حكمى ، ومعناه : المتاركة كقوله : ﴿ سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ﴾ [القصص : ٥٥] وقال قتادة : أمره بالصفح عنهم ، ثم أمره بقتالهم فصار الصفح منسوخا بالسيف . وقيل : هى محكمة لم تنسخ ﴿ **فسوف تعلمون** ﴾ فيه تهديد شديد ، ووعيد عظيم من الله عز وجل . قرأ الجمهور : ﴿**يعلمون** ﴾ بالتحتية ، وقرأ نافع وابن عامر بالفوقية . قال الفراء : إن « سلام » مرفوع بإضمار عليكم .

وقد أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ونادوا يا مالك** ﴾ قال : يمكث عنهم ألف سنة ثم يجيبهم ﴿ **إنكم ما كثون** ﴾. وأخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظى قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها : قرشيان وثقفى ، أو ثقفيان وقرشى ، فقال واحد منهم : ترون أن الله يسمع كلامنا ؟ فقال واحد منهم : إذا جهرتم سمع ، وإذا أسررتم لم يسمع ، فنزلت : ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم**﴾ [1] الآية . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ﴿**إن كان للرحمن ولد** ﴾ يقول : إن يكن للرحمن ولد ﴿ **فأنا أول العابدين** ﴾ قال : الشاهدين . وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم فى قوله : ﴿ **إن كان للرحمن ولد** ﴾ قال : هذا معروف من كلام العرب إن كان هذا الأمر قط ، أى ما كان . وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه .

---

(١) ابن جرير ٢٥/ ٦١ .